

علمه، لم يجحد قدرة الله على إعادته عنادًا وتكذيبًا^(١).

فصل

وَأَمَّا الشُّرْكُ، فهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتَّوبَةِ منه. وهو أن يتَّخذ من دون الله نَدًّا يَحِبُّه كما يحبُّ الله. وهو الشُّرْكُ الذي تَضَمَّنَ تسويةَ آلهةِ المشركين بربِّ العالمين. ولهذا قالوا لآلهتهم في النَّارِ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الشعراء: ٩٧ - ٩٨] مع إقرارهم بأنَّ الله وحده خالقُ كُلِّ شيءٍ وربُّه^(٣) ومليكه، وأنَّ آلهتهم لا تَخْلُقُ ولا تَرْزُقُ ولا تَمِيتُ ولا تُحْيِي. وإنَّما كانت هذه التَّسوية في المحبَّة والتَّعْظِيمِ والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم؛ بل كُلُّهم يَحْبُونُ معبوديهم^(٤) ويعظِّمونها ويوالونها من دون الله. وكثيرٌ منهم، بل أكثرهم يَحْبُونُ آلهتهم أعظمَ من محبَّةِ الله، ويستبشرون بذكرهم أعظمَ من استبشارهم إذا ذَكَرَ الله وحده. ويغضبون لانتقاص^(٥) معبودهم وآلهتهم من المشايخ أعظمَ ما^(٦) يغضبون إذا انتقص^(٦) أحدُ ربِّ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٨، ٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٧، ٢٧٥٦) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) لفظ «وربُّه» ساقط من ش.

(٣) ج: «معبوداتهم».

(٤) ل، ج، ع: «لمنتقص».

(٥) ج، ع: «مما».

(٦) ش: «تنقص».

العالمين. وإذا انتقصت^(١) حرمة من حرمت آلهتهم ومعبودهم غضبوا غضبَ الليث إذا حَرَب^(٢). وإذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنتكر له قلوبهم!

وقد شاهدنا نحن وغيرنا هذا^(٣) منهم جهرةً. ونرى أحدهم قد اتخذ ذكرَ إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه إن قام وإن قعد، وإن عثر، وإن مَرَضَ، وإن استوحى^(٤). فذكرُ إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالبُ على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه بابُ حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه.

وهكذا كان عبَاد الأصنام سواءً، وهذا القدرُ هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم. فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذها من البشر.

قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ

(١) ع: «انتَهكت».

(٢) أي اشتدَّ غضبه. وضبطه بعضهم في الأصل بضم الحاء وتشديد الراء، وضبط في ع بضم الحاء. وفي ج: «حورب». وفي ش غيرٌ إلى «حرد» بالدال، وهو بمعنى الغضب.

(٣) في ع وقع «هذا» قبل «نحن».

(٤) في المطبوع: «استوحش»، والصواب ما أثبت من جميع النسخ. واستوحى: استصرخ. في «طريق الهجرتين» (٢/ ٩١٥) عن عبَاد الجن: «كانوا يستوحونهم ويعوذون بهم». وفي «جامع المسائل» (٣/ ١٤٦): «يقول عند هجوم العدو عليه: يا سيدي فلان! يستوحيه ويستغيث به». وانظر: (٥/ ٢٢٨) و«مجموع الفتاوى» (٣٢٢/ ١٨).

دُونِهِ أُولَئِكَ آمَنَتْ بِهِمْ إِلَّا لِيَقَرَّبُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾. ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِم بِالْكَفْرِ وَالْكَذِبِ (١)، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. فَهَذِهِ حَالٌ مِنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، يَزْعُمُ أَنَّهُ يَقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ. وَمَا أَعَزَّ مَنْ يَخْلُصُ مِنْ هَذَا! بَلْ مَا أَعَزَّ مَنْ لَا يَعَادِي مَنْ أَنْكَرَهُ!

وَالَّذِي فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ وَسَلَفِهِمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهَذَا عَيْنُ الشَّرْكِ. وَقَدْ أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (٢) فِي كِتَابِهِ، وَأَبْطَلَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا لِمَنْ أָذِنَ اللَّهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ وَرَضِيَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ. وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفْعَاءَ، فَإِنَّهُ يَأْذِنُ سَبْحَانَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ لِمَنْ شَاءَ (٣)، حَيْثُ لَمْ يَتَّخِذُوهُمْ شَفْعَاءَ مِنْ دُونِهِ، فَيَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مَنْ يَأْذِنُ اللَّهُ لَهُ صَاحِبُ التَّوْحِيدِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ شَفِيعًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ إِذْنِهِ لِمَنْ وَحَّدَهُ، وَالَّتِي نَفَاهَا اللَّهُ: الشَّفَاعَةُ الشَّرَكِيَّةُ الَّتِي فِي قُلُوبِ الْمَشْرِكِينَ الْمُتَّخِذِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفْعَاءَ، فَيَعَامِلُونَ (٤) بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ (٥)، وَيَفُوزُ بِهَا الْمُوَحِّدُونَ.

(١) ع: «بِالْكَذِبِ وَالْكَفْرِ» عَلَى تَرْتِيبِهِمَا فِي الْآيَةِ.

(٢) ع: «أَنْكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ».

(٣) ع: «لِمَنْ شَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ».

(٤) فِي الْأَصْلِ، ع، ش: «فَيَعَامِلُوا»، وَكَذَا كَانَ فِي ل، م فَأَصْلَحَ كَمَا أَثْبَتَ مِنْ ج.

(٥) ج: «حَرَمَانَ شَفَاعَتِهِمْ».

فتأمل قول النَّبِيِّ ﷺ لأبي هريرة، وقد سأله: من أسعدُ النَّاسِ بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي: من قال لا إله إلا الله»^(١)، كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته تجريد التَّوحيد، عكس ما عند المشركين أنَّ الشَّفاعَةَ تُنال باتِّخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله. فقلِّب النَّبِيُّ ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنَّ سبب الشَّفاعَةِ تجريد التَّوحيد، فحينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع.

ومن جهل المشرك: اعتقاده أنَّ من اتَّخذه وليًّا أو شفيعًا أنَّه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواصُّ الملوك والولاة تنفع من والاهم! ولم يعلموا أنَّ الله لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، ولا يأذن في الشَّفاعَةِ إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأوَّل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي الفصل الثَّاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وبقي فصلٌ ثالثٌ، وهو أنَّه لا يرضى من القول والعمل إلا التَّوحيد واتباع الرُّسول، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأوَّلِين والآخِرِينَ، كما قال أبو العالية: كلمتان يُسأل عنهما الأوَّلُون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟^(٢).

فهذه ثلاث^(٣) فصول، تقطع شجرة الشُّرك من قلب من وعها وعقلها:

-
- (١) في هامش م، ش بخط بعضهم مع علامة صح: «خالصًا من قلبه» كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٤ / ١٤١).
- (٣) ش: «ثلاثة» على الجادة. وفي ع: «ثلاث أصول».

لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي^(١) قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا بتوحيده^(٢) وأتباع رسوله.

فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. وأصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاتة والمحبة، كما في الآية الأخرى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [١٧] إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الشعراء: ٩٧ - ٩٨]، وكما في آية البقرة: ﴿يُجَوِّنَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [١٦٥].

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله^(٣)، فإنه يقول: لا نحبههم كحب الله، ولا^(٤) نسويهم بالله؛ ثم يغضب لهم ولحرمتهم - إذا انتهكت - أعظم مما يغضب لله! ويستبشر بذكرهم، ويتشبه به، سيما إذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من إغاثة اللّهفات^(٥)، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات؛ وأنهم باب بين الله وبين عباده = ترى المشرك يفرح ويُسّر ويحن قلبه وتهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاتة. وإذا ذكرت له الله وحده، وجردت توحيده لحقته وحشة وضيق وحرَج، ورماك بتنقص الآلهة التي له، وربما عاداك!

(١) ع: «ارتضى».

(٢) ع: «توحيده».

(٣) كذا في جميع النسخ. ومن نظائر استعمال المؤلف لام التقوية كما هنا ما سبق في (ص ٢٢٢، ٣٣٩).

(٤) ق، ل: «ألا». وفي ج دون واو العطف.

(٥) ش: «اللّهفان».

رأينا - والله - منهم هذا عياناً، ورمونا بعداوتهم، وبغوا لنا الغوائل، والله مخزيهم في الدنيا والآخرة. ولم تكن حجّتهم إلا أن قالوا كما قال إخوانهم: عاب آلهتنا، فقال هؤلاء: تنقّصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا إلى الله تعالى. وهكذا قال النّصارى للنبي ﷺ، لما قال لهم: إنّ المسيح عبدٌ قالوا: تنقّصت المسيح وعيّته^(١)! وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتّخاذ القبور أوثاناً تُعبَد^(٢) ومساجدَ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله، قالوا: تنقّصت أصحابها!

فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم، حتّى كأنهم قد تواصلوا به! ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ﴾^(٣) وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحِدَ لَهُ وَلِيًّا مَّرْشِدًا ﴿[الكهف: ١٧].

وقد قطع تعالى الأسباب التي يتعلّق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمّله وعرفه أنّ من اتّخذ من دون الله وليّاً أو شفيعاً، فهو كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت، فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَاهِرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٢ - ٢٣].

فالمشرك إنّما يتّخذ معبوده لما يحصل له به من النّفع، والنّفع لا يكون

(١) لعله يشير إلى قصة وفد نجران ومجادلتهم للنبي ﷺ. انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٧٥ - ٥٧٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ١٧٢ - ١٧٤).

(٢) «تعبد» ساقط من ل.

(٣) هكذا بالياء في النسخ على قراءة أبي عمرو وغيره.

إِلَّا مَمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ: إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يَرِيدُ عَابِدُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ كَانَ مَعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعِينًا وَلَا ظَهِيرًا كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ. فَفَنَفَى سَبْحَانَهُ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ نَفِيًّا مَرْتَبًا مُنْتَقِلًا^(١) مِنَ الْأَعْلَى إِلَى مَا دُونِهِ، فَفَنَفَى الْمَلِكَ، وَالشَّرَكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ الَّتِي يَطْلُبُهَا^(٢) الْمُشْرِكُ؛ وَأَثَبَتْ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ. فَكَفَى بِهِذِهِ الْآيَةُ نُورًا وَبِرَهَانًا وَنَجَاةً، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقِطْعًا لِأَصُولِ الشُّرْكِ وَمَوَادَّهُ لِمَنْ عَقَلَهَا!

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنُظَائِرِهَا، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيُظَنُّهُ فِي نَوْعٍ وَقَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارثًا! وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ أَوْلَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، وَشَرُّ مِنْهُمْ، وَدُونَهُمْ. وَتَنَاوَلُ الْقُرْآنَ لَهُمْ كِتَانُولُهُ لِأَوْلَئِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِمَّا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ^(٣).

(١) يَحْتَمِلُ قِرَاءَةَ «مُنْتَقِلًا». وَفِي ش: «مُسْتَقِلًا»، تَحْرِيفٌ.

(٢) ع: «يُظَنُّهَا».

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٣١٣٩) وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (١٢٩/٦) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢٤٣/٧) وَالْحَاكِمُ (٤٢٨/٤) وَصَحَّحَهُ، بَلْفُظَ: «قَدْ عَلِمْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ، إِذَا سَاسَ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ وَلَمْ يَعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ». وَتَفْسِيرُهُ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (١٨٠/٢) وَ«شُعَبُ الْإِيمَانِ» (٧١٢٠).

يَنْظُرُ تَعْلِيلَ مُحَقِّقٍ «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٨٣٦/٢) حَيْثُ نَبَّهَ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الْمُصَنِّفِ مُلْفَقٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ وَأَثَرُ عُمَرُ هَذَا، وَقَدْ أَخْرَجَهُمَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ

وهذا لأنّه إذا لم يعرف الجاهليّة والشّرك وما عابه القرآن وذمّه وقع فيه وأقرّه، ودعا إليه، وصوّبه وحسنه، وهو لا يعرف أنّه هو الذي^(١) كان عليه الجاهليّة، أو نظيره، أو أشدّ^(٢) منه، أو دونه؛ فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنّة والسنّة بدعة؛ ويكفر الرّجل بمحض الإيمان وتجريد التّوحيد، ويدّع بتجريد متابعة الرّسول ومفارقة الأهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حيّ يرى ذلك عياناً! فالله المستعان.

فصل

وأما الشّرك الأصغر، فكيسير الرّياء، والتّصنّع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النّبى ﷺ أنّه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»^(٣)، وقول الرّجل للرّجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وإنّا بالله وبك، وما لي إلّا الله وأنت، وأنا متكلّ على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

الإيمان» متابعين.

(١) ع: «أنّه الذي» بإسقاط «هو».

(٢) ش: «أسوأ»، وفي غيرها ما عدا الأصل: «شرّ».

(٣) أخرجه أحمد (٥٣٧٥، ٥٥٩٤، ٦٠٧٢) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥)

وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن أعله البيهقي (٢٩/١٠) بالانقطاع. والمحموظ ما أخرجه البخاري (٦٦٤٧) ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر بلفظ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم» دون هذه الزيادة. وانظر: تعليق محقق «مسند الفاروق» (٢/٢٢٧ - دار الفلاح).

وصَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ: «أَجَعَلْتَنِي
لِلَّهِ نَذًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١). وَهَذَا اللَّفْظُ أَخْفُ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَافِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الشَّرْكِ: سَجُودُ الْمَرِيدِ لِلشَّيْخِ، فَإِنَّهُ شَرَكُ مِنَ السَّاجِدِ
وَالْمَسْجُودِ لَهُ. وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ هَذَا سَجُودًا، وَإِنَّمَا هُوَ وَضْعُ
الرَّأْسِ قَدَامَ الشَّيْخِ! فَيَقَالُ لَهُؤُلَاءِ: وَلَوْ سَمَّيْتُمُوهُ مَا سَمَّيْتُمُوهُ، فَحَقِيقَةُ
السَّجُودِ: وَضْعُ الرَّأْسِ لِمَنْ يَسْجُدُ^(٢) لَهُ. وَكَذَلِكَ السَّجُودُ لِلصَّنَمِ وَلِلشَّمْسِ
وَاللَّنَجْمِ وَلِلْحَجَرِ = كُلُّهُ وَضْعُ الرَّأْسِ قَدَامَهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: رُكُوعُ الْمُتَعَمِّمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمَلَاقَةِ. وَهَذَا
سَجُودٌ فِي اللُّغَةِ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤]
أَيَّ مُنْحِنِينَ^(٣)، وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ بِالْجِهَةِ عَلَى الْأَرْضِ. وَمِنْهُ: قَوْلُ
الْعَرَبِ: سَجَدْتَ الْأَشْجَارَ، إِذَا أَمَالَتَهَا الرِّيحُ^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٨٣٩، ٢٥٦١، ٣٢٤٧) وَابْنُ خَالٍ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٧٨٣)
وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (١٠٧٥٩) وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ (٢١٧/٣) وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَفِيهِ الْأَجْلَحُ أَبُو حَجِيَّةٍ وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَثَقَّهُ ابْنُ مَعِينٍ
وَوَصَفَهُ ابْنُ عَدِيٍّ بِأَنَّهُ مُسْتَقِيمُ الْحَدِيثِ عِنْدَهُ، وَضَعَفَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ
وَأَبُو حَاتِمٍ وَالْعَقِيلِيُّ وَابْنُ حَبَانَ، «تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ» (١/ ١٩٠). وَلَكِنْ قَالَ الْحَافِظُ فِي
«التَّقْرِيبِ»: «صَدُوقٌ شَيْعِي، وَاعْتَمَدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فَصَحَّحَهُ. انْظُرْ: «الصَّحِيحَةُ» (١٣٩)،
(١٠٩٣).

(٢) ع: «سُجِدَ».

(٣) انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الْبَغْوِيِّ» (١/ ٩٩).

(٤) ع: «أَمَالَهَا الرِّيحُ».

ومن أنواعه: خلق الرأس للشيخ، فإنه تعبّد لغير الله، ولا يُتعبّد بحلق الرأس إلا في النُّسك لله خاصّةً.

ومن أنواعه: التَّوبَةُ للشيخ، فإنّها شركٌ عظيمٌ، فإنَّ التَّوبَةَ لا تكون إلا لله، كالصَّلاة والصَّيام والحجّ والنُّسك، فهي خالصٌ حقّ الله.

وفي «المسند»^(١): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِأَسِيرٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَرَفَ الْحَقُّ لِأَهْلِهِ».

فالتَّوبَةُ عِبَادَةٌ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ، كَالسُّجُودِ وَالصَّيَامِ.

ومن أنواعه: النَّذْرُ لغير الله، فإنّه شركٌ. وهو أعظم من الحلف بغير الله، فإذا كان مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد أشرك، فكيف بمن نذر لغير الله؟ مع أنَّ في «السُّنَنِ»^(٢) من حديث عقبة بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «النَّذْرُ حَلْفَةٌ».

ومن أنواعه: الخوفُ من غير الله، والتَّوَكُّلُ على غير الله، والعملُ لغير الله، والإِنَابَةُ والخضوعُ والدُّلُّ لغير الله، وابتغاء الرِّزْق من عند غيره، وحمدُ غيره على ما أعطى والغُنيّةُ^(٣) بذلك عن حمده سبحانه، والدِّمُّ والسَّخَطُ على ما لم يَقْسِمْه ولم يجبر به القدر، وإضافةُ نعمه إلى غيره، واعتقادُ أن يكون في

(١) برقم (١٥٥٨٧) وغيره من حديث الأسود بن سريع، وفيه انقطاع.

(٢) لم أجده مستنداً بهذا اللفظ، وقد ذكره الإمام أحمد في «مسائله» برواية صالح (٣٩٦/١) موقوفاً على عقبة من قوله. وذكره شيخ الإسلام في مواضع من تصانيفه، تارةً مرفوعاً كما في «مجموع الفتاوى» (٢٥٠/٢٧٧، ٣٥٨/٢٧١)، وتارةً موقوفاً كما في «الرد على السبكي في مسألة تعليق الطلاق» (ص ١١٨، ٣٦٤، ٥٣١، وغيرها).

(٣) ش: «الغيبة»، تصحيف.

الكون ما لا يشاؤه.

ومن أنواعه: طلبُ الحوائج من الموتى، والاستغاثةُ بهم، والتَّوجُّهُ إليهم. وهذا أصلُ شرك العالم، فإنَّ الميِّتَ قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً^(١)، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها. وهذا من جهله بالشَّافع والمشفوع عنده، كما تقدَّم، فإنَّه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه. والله لم يجعل استغاثته^(٢) وسؤاله سبباً لإذنه، وإنَّما السَّببُ لإذنه كمالُ التَّوحيد، فجاء هذا المشركُ بسببٍ يمنع إذنه^(٣)، وهو بمنزلة من استعان في حاجةٍ بما يمنع حصولها! وهذه حالة كلِّ مشركٍ.

والميِّتُ محتاجٌ إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النَّبيُّ ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة. فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادَةِ واستقضاء الحوائج والاستغاثة^(٤) بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعبد، وسمَّوا قصدها حجاً^(٥)، واتخذوا عندها الوقفةَ وحلقَ الرأسِ؛ فجمعوا بين الشُّركِ بالمعبود الحقِّ، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التَّوحيد ونسبة أهله إلى التَّنْقُص بالأموال^(٦). وهم

(١) ع: «ضرراً ولا نفعاً».

(٢) ش، ع: «استعانتة».

(٣) ع: «الإذن». وكان مثله في الأصل ثم أصلح.

(٤) ج، م، ش: «الاستعانة».

(٥) لفظ «حجاً» ساقط من ش.

(٦) كذا بالباء في جميع النسخ، ومثله في «إغاثة اللفهان» (١/١٠٣): «التنقص بالمشايخ».

قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم. وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه. وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! والله خليفه إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿وَأَجْبِني وَيَني أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦].

وما نجا من شرك^(١) هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانت^(٢) بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله؛ وأخلص قصده لله متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته. إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل الله؛ فهو لله، وبالله، ومع الله.

والشرك أنواع كثيرة لا يحصيها إلا الله.

ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتساع، ولعل الله أن يساعد بوضع كتاب فيه وفي أقسامه وأسبابه ومباده ومضرته وما يندفع به، فإن العبد إذا نجا منه ومن التعطيل - وهما الداءان اللذان هلكت بهما الأمم - فما بعدهما هو أيسر منهما، ومن^(٣) هلك بهما فبسييل من هلك، ولا آسى على الهالكين.

وفي «بدائع الفوائد» (٤/١٥٧٦): «والتنقص به».

(١) لفظ «شرك» ساقط من ش، وكأن ناسخها أو ناسخ أصلها قرأه: «شرك»، فحذفه.

(٢) ل: «واستغاثته» هنا، وفيما يأتي: «واستعانت».

(٣) ج، م، ش، ع: «وإن»، وكذا كان في ق، ل تم أصلح.